

بدعة الكلام النفسي

للدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس

تتمة على ما نشر في العدد الماضي

بعد أن تم نشر بحث (بدعة الكلام النفسي - عرض ونقض) في العدد الخامس والعشرين من مجلة الجامعة للدكتور / محمد بن عبد الرحمن الخميس ، تبين للهيئة أن مبحثاً رابعاً بعنوان (حجج من قال بالكلام النفسي) سقط أثناء الصف ، وإتماماً للفائدة العلمية ، وحرصاً على اكتمال البحث ، ننشر في هذا العدد ما فات في ذلك العدد .

المبحث الرابع

حجج من قال ببدعة الكلام النفسي والجواب عليها

استدل من يقول بالكلام النفسي بأدلة من القرآن والسنة واللغة ، وإليك تلك الأدلة :

أولاً : الأدلة من القرآن :

أ- قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ [المجادلة : ٨] .

ب- وقوله تعالى : ﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾

[الأعراف: ٢٠٥].

ج- وقوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الملك: ١٣] فسمى الإسرار قولاً.

د- وقوله تعالى: ﴿آيَتِكَ أَلَّا تَكَلَّمَ النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾

[آل عمران: ٤١].

ثانياً : الأدلة من السنة :

قول النبي ﷺ يقول الله عز وجل « أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي »^(١) . فأثبت الذكر للنفس، والذكر والقول والكلام واحد، فعلم أن حقيقة الكلام المعني القائم بالنفس^(٢).

ثالثاً : الأدلة من آثار السلف :

قول عمر- رضي الله عنه - «زورت في نفسي مقالة أردت أن أقولها»^(٣).

رابعاً : الأدلة من اللغة :

احتجوا ببیت الأخطل :

إن الكلام لفـي الفـؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

واحتجوا كذلك بأن العربي يقول : (كان في نفسي كلام) و(ما في نفسي قول) و(كان في نفسي حديث).

هذه أهم أدلتهم على القول بالكلام النفسي، وقد ناقش شيخ الإسلام هذه الحجج وبيّن أنه لا دليل لهم فيها، وأنا أذكر ملخص ما أجاب به رحمه

الله عن تلك الحجج ، وذلك كما يلي :

أولاً : ما استدلوا به من القرآن :

١- استدلالهم بقوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾ [المجادلة : ٨] عنه جوابان :

أحدهما : أن المراد أنهم قالوه بألسنتهم سراً ، وحيثُذ فلا حجة لهم فيه ، وهذا هو الذي ذكره المفسرون ، حيث كانوا يقولون : سام عليك ، فإذا خرجوا يقولون في أنفسهم ، أي يقول بعضهم لبعض : لو كان نبياً عذبنا بقولنا له ما نقول ^(٤) .

والثاني : أنه قيده بالنفس ، وهذا على أن المقصود أنهم قالوه بقلوبهم ، وإذا قيد القول بالنفس كان دلالة المقيّد خلاف دلالة المطلق ، والدليل قول النبي ﷺ « إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ، ما لم تتكلم أو تعمل » ^(٥) ، وهذا رد عليهم مطلقاً لأنه قال : (ما لم تتكلم) فدل على أن حديث النفس ليس هو الكلام المطلق .

٢- وأما قوله تعالى : ﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾ [الأعراف : ٢٠٥] فالمقصود الذكر باللسان لأنه قال ﴿ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ ، ومن استقراء النصوص يتبين أن الذي يقيد بالنفس لفظ (الحديث) ، مثل الحديث السابق (وما حدثت به أنفسها) ، أما لفظ (الكلام) فلم يعرف أنه أريد به ما في النفس فقط ^(٦) .

٣- وأما قوله : ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾ [المالك : ١٣] ، واحتجاجهم على أن القول المسر في القلب دون اللسان لقوله تعالى في آخر الآية ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ف (هذه حجة ضعيفة جداً ، لأن قوله ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾ يبين أن القول يسر به تارة ، ويجهر به أخرى ، وهذا إنما هو فيما يكون في القول الذي هو بحروف مسموعة ، وقوله بعد ذلك ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى ، فإنه إذا كان عليمًا بذات الصدور فعلمه بالقول المسر والمجهور به أولى^(٧) .

٤- أما قوله تعالى ﴿آيَتِكَ أَلَّا تَكْلِمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ [العمران : ٤١] ، فقد ذكر في مريم ﴿ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ [مريم : ١٠] ، و (لم يستثن شيئاً ، والقصة واحدة ، وهذا يدل على أن الاستثناء منقطع ، والمعنى ، آيتك ألا تكلم الناس ، لكن ترمز لهم رمزاً)^(٨) .

ثانياً : الجواب عما استدلوا به من السنة :

أما ما احتجوا به من قول النبي ص في الحديث السابق فليس وارداً في محل النزاع لأن الخلاف بين أهل السنة والأشاعرة إنما هو في مسمى القول لا بقيام المعاني في القلب ، فإن أهل السنة والجماعة يقرون بأن حديث النفس قد يسمى كلاماً وقولاً ، ولكن بقرينة تبين ذلك وأما مطلق الكلام والقول فإنه يعم الألفاظ والمعاني مجتمعة^(٩) .

ثالثاً : أما احتجاجهم بأثر عمر في قصة السقيفة (زورت في نفسي مقالة) فهي حجة عليهم ، لأن التزوير : إصلاح الكلام وتهيئته ، (فلفظها يدل

على أنه قدر في نفسه ما يريد أن يقوله ولم يقله ، فعلم أنه لا يكون قولاً إلا إذا قيل باللسان ، وقبل ذلك لم يكن قولاً ، لكن كان مقدرأ في النفس ، يراد أن يقال ، كما يقدر الإنسان في نفسه أنه يحج وأنه يصلي ، وأنه يسافر ، إلى غير ذلك ، فيكون لما يريد من القول والعمل صورة ذهنية مقدرة في النفس ، ولكن لا يسمى قولاً وعملاً إلا إذا وجدت في الخارج . . .)^(١٠) . وهذا يدل عليه الحديث السابق : « إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل » .

رابعاً : الجواب عما احتجوا به من اللغة :

أما احتجاجهم بالبيت المنسوب للأخطل ، ففيه ما فيه من ناحية صحة نسبته إليه حتى ألفاظ البيت حرفت لتوافق مقصود من استشهد به من أهل الكلام وقد تعجب شيخ الإسلام من هؤلاء الذين يحتجون بهذا البيت الذي قاله نصراني ، ولم يثبت عنه . فقال : « ولو احتج محتج في مسألة بحديث أخرجاه في الصحيحين عن النبي ﷺ لقالوا : هذا خبر واحد ، ويكون مما اتفق العلماء على تصديقه وتلقيه بالقبول ، وهذا البيت لم يثبت نقله بإسناد صحيح لا واحد ولا أكثر من واحد ، ولا تلقاه أهل العربية بالقبول . فكيف يثبت به أدنى شيء من اللغة ، فضلاً عن مسمى الكلام^(١١) . وقد أطال شيخ الإسلام في المناقشة بما يشفي ويكفي^(١٢) .

وأما احتجاجهم بقول العربي (كان في نفسي كلام) ونحو ذلك ، فإننا لا نخالف في صحته ، لكن ليس على مرادكم - معشر الأشعرية - وإنما على مرادنا من كون لفظ (الكلام) إذا جاء مقيداً ، كان التقييد قرينة دالة على إخراجه عن إطلاقه . ونحن نقر أنه قد تراد به المعاني أو الألفاظ بالقرائن ، فلما

قيده العربي ههنا بالنفس أخرجه من مطلق الكلام، فكيف يصح لكم - معشر
الأشعرية - أن تحتجوا بما هو مجاز على قواعدكم لتقرير ما هي الحقيقة؟ وذلك
أنكم تقولون : ما تصرفه القرائن عن حقيقته إنما هو المجاز^(١٣).

هذه أظهر حججهم في هذه المسألة، والجواب عليها، وبالله التوفيق.

الهوامش

- (١) متفق عليه.
 - (٢) انظر : الإنصاف للباقلاني ص (١٠٩-١١٠).
 - (٣) رواه البخاري، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت، حيث ساق حديث السقيفة بطوله، ورقمه (٦٨٣٠) (الفتح ١٢/١٤٤-١٤٥).
 - (٤) انظر الإيمان ص (١٢٩)، ط المكتب الإسلامي، ومجموع الفتاوى (٣٥/١٥).
 - (٥) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان والنور باب إذا حنث ناسياً في الإيمان ورقمه (٦٦٦٤) (الفتح ١١/٥٤٨-٥٤٩)، ومسلم ، كتاب الإيمان باب تجاوز الله عن حديث النفس ورقمه (١٢٧).
 - (٦) انظر : الإيمان ص (١٣٠).
 - (٧) مجموع الفتاوى (٣٦/١٥) وانظر الإيمان ص (١٣٠).
 - (٨) الإيمان ، ص (١٣١).
 - (٩) انظر كتاب العقيدة السلفية في كلام رب البرية ص (٣٥١).
 - (١٠) الإيمان ص (١٣١-١٣٢)، ص المكتب الإسلامي.
 - (١١) الإيمان ص (١٣٢).
 - (١٢) الإيمان ص (١٣٢-١٣٤).
 - (١٣) العقيدة السلفية في كلام رب البرية ص (٣٥١-٣٥٢).
- وقد سقط من المبحث الثالث في بحث (بدعة الكلام النفسي) المنشور في العدد الخامس والعشرين الهوامش الآتية:
- في عنوان المبحث ص (٤٠)
- (من أشمل الكتب التي وقفت عليها في نقض بدعة الكلام النفسي كتاب التسعينية لشيخ الإسلام ، ضمن مجموعة الفتاوى الكبرى، وكتاب الحرف والصوت للسجزي، وكتاب الماتريدي وموقفهم من الصفات للشيخ شمس الدين الأفغاني رحمه الله، وعنهم

حررت هذا المبحث.

- في آخر الوجه الرابع ص (٤٤)
(انظر : الماتريدية لشمس الدين الأفغاني ٨٤/٣ بنحوه).
- في آخر الوجه الخامس ص (٤٧)
(انظر : الماتريدية لشمس الدين الأفغاني ٨٩/٣ بنحوه).
- في آخر الوجه السابع ص (٤٨)
(الماتريدية لشمس الدين الأفغاني ٩٠/٣).
- في آخر الوجه الثامن ص (٤٩) يضاف للهامش رقم ١٢٦
(انظر : الماتريدية لشمس الدين الأفغاني ٩١/٣-٩٢).
- في آخر الوجه التاسع ص (٥٠) يضاف للهامش رقم ١٢٨
(انظر : الماتريدية لشمس الدين الأفغاني ٩٢/٣-٩٣، ١٠٠-١٠١).
- في آخر الوجه الثاني عشر ص (٥٤)
(انظر : الماتريدية لشمس الدين الأفغاني ١٠١/٣-١٠٢).
- في آخر الوجه الثالث عشر ص (٥٦).
(انظر : الماتريدية لشمس الدين الأفغاني ٩٣/٣-٩٦).
- في آخر الوجه الخامس عشر ص (٥٧) يضاف للهامش ١٦٠
(و الماتريدية لشمس الدين الأفغاني ١٠١/٣-١٠٣).
- في آخر الوجه السادس عشر ص (٥٩)
(الماتريدية لشمس الدين الأفغاني ١٠٣/٣-١٠٤).
- في آخر الوجه العشرين ص (٦٢)
(انظر : الماتريدية لشمس الدين الأفغاني ١٢١/٣).
- في آخر الوجه الثاني والعشرين ص (٦٣)
(انظر : الماتريدية لشمس الدين الأفغاني ١٣٥/٣-١٣٦).

* وسقط من المراجع

- ١- العقيدة السلفية في إثبات كلام رب البرية - للجديع - ط دار الإمام مالك.
- ٢- التسعينية - لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ضمن مجموع الفتاوى الكبرى.
- ٣- الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات - لشمس الدين الأفغاني رحمه الله - ط مكتبة الصديق بالطائف.